العلَّامة الشيخ محمَّد علي الصابوني رحمه الله رحمة واسعة

محمد عدنان كاتبي

سورية

الشيخ محمَّد علي بن الشيخ جميل بن علي بن مصطفى الصابوني الحنفي الحلبي، المجاور في مكَّة، نزيل تركيا، المدفون في إستانبول

عالم عامل، فقيه، حافظ، مفسِّر، لغوي، مشارك، معمِّر.

ولد الشيخ محمَّد علي في مدينة حلب، سنة: تسع وأربعين وتسعمئة وألف للهجرة، ونشأ في أحضان أسرة محبَّة للعلم والعلماء، فوالده الشيخ جميل الحافظ المتقن، قيِّم الجامع الأموي الكبير بحلب، وأحد كبار علماء حلب في عصره، وأمُّه امرأة صالحة كثيرة العبادة والتقوى، أدركتها المنيَّة وهي ساجدة في قيام الليل، ودفنت قي مقبرة المعلاة في مكَّة المكرَّمة، بعد عمر تجاوز المئة عام، ومن هذه الأسرة المباركة خرج كثير من علماء حلب، مثال الشيخ عطاء الله الصابوني، والشيخ أحمد الصابوني، وشاعر طيبة الشيخ محمَّد ضياء الدين الصابوني شقيق الشيخ محمَّد علي، وغيرهم من العلماء، وقد ورث الشيخ المترجَم له عن والده حبَّ العلم، وأخذ عنه الكثير من العلوم الشرعية والعربية.

تلقَّى مبادئ علوم القراءة والكتابة، والتلاوة والتجويد والتفسير والحديث، على والده الشيخ جميل، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم في أحد كتاتيب المدينة، ثُمَّ أكمل حفظه وهو في المرحلة الثانويَّة، ودرس المرحلة الابتدائيَّة في إحدى المدارس النظاميَّة الحكومية، وأتمَّها بنجاح باهر وتفوُّق ملحوظ، انتسب بعدها إلى الثانوية التجارية في حلب، ودرس فيها مدَّة، وكان من المتفوِّقين على رفاقه فيها، إلا أنَّ دراسة التجارة لم تنسجم مع ميوله الشرعية، التي تأبى دراسة المعاملات الربوية، فترك المدرسة، وانتسب إلى المدرسة (الخسرويَّة)، التي كانت تسمَّى (الكلية الشرعية)، وفيها التقى كوكبة من شيوخه العلماء الكبار، أمثال: الشيخ محمَّد سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الشمَّاع، وأخذ عنهما علوم القرآن والتفسير، والشيخ محمَّد نجيب خيَّاطة، وأخذ عنه علوم التلاوة والتجويد والفرائض، والشيخ محمَّد زين العابدين الجذبة، وعنه أخذ علوم التوحيد والمنطق، والشيخ محمَّد راغب الطباخ، وتلقى منه علوم الحديث والسيرة والتاريخ، وقرأ عليه كتاب الشمائل والأربعين النووية، وبعض المسلسلات، والشيخ محمَّد السلقيني، وأخذ عنه علم الفقه الحنفي، والشيخ محمَّد أسعد العبه جي، وتلقَّى عليه علوم أصول الفقه وعلوم اللغة العربية، نحوها وصرفها وبلاغتها، والشيخ عبد الوهَّاب سكَّر ودرس عليه السيرة النبوية وأعلام الإسلام ، والشيخ محمَّد بلنكو مفتي حلب، والشيخ عبد الله حمَّاد، والشيخ محمَّد ناجي أبو صالح، وغيرهم من علماء حلب الأفاضل، وقد أخذ عنهم مختلف العلوم الشرعية والعربية، إضافة إلى بعض العلوم الكونية كالرياضيات، والعلوم العامَّة والفيزياء والكيمياء والجغرافيا واللغة الإنكليزية، وغيرها من العلوم، وتابع الشيخ دراسته في هذه المدرسة بكل جدٍّ واجتهاد، إلى أن تخرَّج بها بتفوُّق ملحوظ، سنة:١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م.

وأثناء دراسته في المدرسة الخسروية، كان للشيخ غرفة في الجامع الأموي الكبير أعدَّها له والده الشيخ جميل، ليتفرَّغ للمطالعة وطلب العلم، فكان يمكث في غرفته هذه، فلا يخرج إلَّا لحضور دروس العلماء ومجالسهم، التي لا تكاد تنقطع في الجامع الكبير وفي غيره من مساجد حلب وجوامعها. ومن العلماء الذين حضر عليهم وتأثَّر بهم: الشيخ محمَّد نجيب سراج الدين، الذي كان له التأثير الأكبر في

علمه ومنهجه في التفسير، وكان الشيخ نجيب قد أخذ مكان شيخه الشيخ أحمد الترمانيني في درس الجامع الكبير، وكان الشيخ محمَّد علي من صغار طلبة العلم الذين كانوا يحضرون حلقة الشيخ محمَّد نجيب سراج الدين.

كما لازم الشيخُ محمَّد علي حلقةَ شيخِه الشيخ أحمد الشمَّاع، في الجامع الأموي الكبير، فكان هو والشيخ محمَّد نجيب سراج الدين عمدته في التفسير، وعنهما أتقن صناعته، أمَّا الشيخ محمَّد سعيد الإدلبي، فقد أحبَّه الشيخ ولازمه ملازمة تامَّة، فكان يحضر على شيخه هذا دروس الفقه والحديث والتفسير، ثمَّ يرافقه إلى منزله، وكان الشيخ سعيد يحبُّه ويدعو له دعوات خاصَّة.

كما لازم شيخه الشيخ محمَّد نجيب خيَّاطة، بناء على توجيهات والده، فأخذ عنه الكثير من علوم التلاوة والتجويد والفرائض، والشيخ محمَّد أسعد العبه جي، وتلقَّى منه علوم اللغة العربية والفقه والأصول وحصل على إجازته في هذه العلوم.

ونظراً لتفوُّقه في الدراسة في (الكلِّية الشرعية)، فقد بعثته وزارة الأوقاف إلى القاهرة، ليتابع دراساته الشرعية على نفقتها، وشدَّ الشيخ المترجَم له رحالَه إلى القاهرة، وانتسب إلى كلِّية الشريعة في جامعة الأزهر، وانصرف إلى الدراسة فيها بكلّ جدٍّ واجتهاد، إلى أن تخرَّج فيها سنة: ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م، وتابع الشيخ دراساته العليا التخصُّصية في الأزهر الشريف، إلى أن حصل على شهادته (العالمية) باختصاص، (القضاء الشرعي)، وذلك سنة: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

عاد الشيخ بعدها إلى موطنه حلب، ليعمل على نشر العلم الذي حصَّله، وإفادة الطلَّاب من بني وطنه، فعمل مدرِّساً لمادَّة التربية الإسلامية في عدد من ثانويات حلب، ودُور المعلِّمين فيها، وظلَّ على عمله في التعليم إلى عام: ١٩٦٢م، انتدب بعدها إلى المملكة العربية السعودية أستاذًا مُعارًا، من وزارة التربية في سورية، للتدريس بكلِّية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز، فرع مكَّة المكرَّمة، وكان على رأس البعثة السورية إلى المملكة آنذاك، فدرَّس فيها ما يقارب ثمانية وعشرين عامًا، وتخرَّج على يديه كثير من أساتذة الجامعة في هذه الفترة الطويلة.

ونظراً لنشاطه العلمي في البحث والتأليف، فقد رأت جامعة أمِّ القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي، فعُيِّن باحثًا علميًّا في مركز (البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي)، فاشتغل في تحقيق كتاب (معاني القرآن) للإمام أبي جعفر النحَّاس، المتوفَّى سنة: ٣٣٨ هـ، وقد خرج الكتاب في ستَّة أجزاء.

انتقل الشيخ بعدها للعمل في رابطة العالم الإسلامي، مستشارًا في (هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنَّة)، وبقي فيها عدَّة سنوات، تفرَّغ بعدها للتأليف والبحث العلمي، ورغم انشغال الشيخ المترجَم له في نشر العلم، وإفادة الطلَّاب عن طريق التدريس في الجامعة، وتأليف الكتب المفيدة، وتحقيق كتب التراث، لم يغفل عن الدعوة إلى الله بين صفوف العامَّة من الناس، فقد كان له نشاط دعوي واسع، وذلك من خلال دروسه في المسجد الحرام بمكَّة المكرَّمة، وتصدُّره للإفتاء فيه في مواسم الحجِّ، (وقد أكرمه الله بأن يسَّر له أن يأمَّ الناسَ في المسجد الحرام عددًا من المرَّات)، كما كان له درس أسبوعي في التفسير، في أحد مساجد مدينة (جدَّة)، امتدَّ لفترة ما يقارب ثماني سنوات، فسَّر خلالها لطلَّاب العلم أكثر من ثلثي القرآن الكريم، وهي مسجَّلة على أشرطة كاسيت، كما قام الشيخ بتسجيل وتصوير أكثر من ستمئة حلقة لبرنامج تفسير القرآن الكريم كاملاً، ليعرض في تلفزيون المملكة العربية السعودية، وقد استغرق هذا العمل زهاء السنتين، وقد أتمَّه نهاية عام ١٤١٩هـ.

شارك الشيخ المترجَم له في العديد من المؤتمَرات والندوات العلمية، واختارته اللجنة المنظِّمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سنة: ١٤٣١هـ، ليكون (شخصية العام الإسلامية)، وذلك نظرًا لجهوده المتواصلة في خدمة الدين الإسلامي والمسلمين، من خلال العديد من الكتب، والإنتاج الغزير في المؤلَّفات، وخاصَّة تفسير القرآن الكريم، وصرَّح رئيس اللجنة المنظِّمة خلال المؤتمر الصحفي الذي عقد بمقرِّ الجائزة: (إنَّ اختيار الشيخ الصابوني جاء بناءً على كثير من المعايير التي تمَّ وضعها من الجائزة لاختيار الشخصية الإسلامية)، وقال: (إن الشيخ الصابوني من العلماء المتميِّزين في شتَّى العلوم الشرعية، وعلوم القرآن الكريم خاصَّة، وتضمُّ أعماله كتاب صفوة التفاسير، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام وغيرها)، وردَّ

الشيخ المترجَم له قائلاً: إنني نذرت نفسي لخدمة كتاب الله عز وجل، وللعلوم الشرعية من أجل الإسلام والمسلمين.

كما كرَّمه الشيخ عبد المقصود خوجة، في (إثنينيته)، وذلك مساء يوم الاثنين الواقع في ١٤١٠/٤/٨هـ، الموافق لـ ١٩٨٩/١١/٦م، وقد ألقيت في الاحتفال عدد من كلمات العلماء الافاضل، الذين أشادوا بعلم المترجَم وأخلاقِه، نذكر منهم: الأستاذ محمَّد حسين زيدان، والأستاذ الشيخ الحبيب بلخوجة، والأستاذ عبد الفتَّاح أبي مدين، والأستاذ الشيخ محمَّد عبده يماني. وممَّا جاء في كلمة الشيخ محمَّد عبده يماني، قوله: «والحقَّ أن الشيخ الصابونيَّ يستحقُّ كلَّ التقدير، لأنَّه رجل عمل في صمت، وصدق، وصبر وإيمان، وقد تقبَّل النقد بصدر رحب، وصبر على الأذى... وأشهد أن هذا الرجل خدم العلم بأخلاق العلماء الذين عهدناهم في الأزمنة الغابرة»، وألقى شاعر طيبة الأستاذ الشيخ محمَّد ضياء الدين الصابوني، قصيدة طويلة نذكر منها هذا البيت:

لك يـا علي مآثـر محمودة لا زلتَ في التفسير خيرَ إمام

كما صحب الشيخ محمَّد علي عدداً من العلماء من أهل مكَّة، وممَّن كان يأتيها للحجِّ أو للعمرة من البلاد الإسلامية، فكان يحضر عليهم، ويلازمهم ويستجيزهم في العلوم التي حصَّلها عنهم، ويجيزونه، وذلك لما يرون فيه من الأهليه، وقد بلغ عدد شيوخه الذين أخذ عنهم وأجازوه ثلاثة عشر شيخاً -كان من فضل الله علي أن شاركته في الأخذ عن بعض شيوخه وهم: الشيخ محمَّد نجيب خيَّاطة، والشيخ محمَّد زين العابدين الجذبة- وكان شيخنا يجيز طلَّابه مشافَهة، وفي أواخر حياته بدأ يجيز طلَّابه ومن يحضر عليه إجازة مطبوعة بإذنه ويمهرها بإمضائه وختمه، وقد أجاز الشيخ عدداً من العلماء وطلَّاب العلم بكلِّ مسموعاته ومرويَّاته.

وقد حضرت بعض مجالسه في قراءة شرح صحيح البخاري، وعرضت عليه الترجمة التي كتبتها له في كتابي (علماء من حلب في القرن الرابع عشر)، فسرَّ بها وأجازني بنشرها، كما أجازني إجازة خاصَّة وهي مثبَّتة بنصِّها في ثبته الموسوم بـ (التحرير اليسير في ترجمة وأسانيد العلَّامة الشيخ محمَّد علي الصابوني صاحب

التفاسير) الذي جمعه تلميذه الشيخ محمَّد أيوب العلي ـ حفظه الله ـ.

وللشيخ مؤلَّفات عديدة في شتَّى العلوم الشرعية والعربية، وإن كان التفسير والحديث يغلب عليها، ألَّفها في مشواره العلمي الطويل، ولاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين طلَّاب العلم، في شتَّى أنحاء العالم الإسلامي، وترجم العديد منها إلى لغات مختلفة، وقد زادت مؤلَّفاته حتى الآن على الخمسين مؤلَّفاً موزَّعة بين تأليف وتحقيق، منها:

١- صفوة التفاسير: وهو تفسير جامع بين المأثور والمنقول، وهو من أكثركتبه انتشاراً، وقد طبع منه آلاف النسخ، وترجم إلى العديد من اللغات

٢- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن (جزآن).

٣- التفسير الواضح.

٤- درَّة التفاسير.

٥- قبس من نور القرآن الكريم.

٦- مختصر تفسير ابن كثير ـ تحقيق واختصار.

٧- مختصر تفسير الطبري.

٨- إيجاز البيان في سور القرآن.

٩- التبيان في علوم القرآن.

١٠- السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المنزل.

١١- شرح لكتب الحديث الصحاح الستة، (البخاري، مسلم، أبي داوود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه).

١٢- شرح كتاب رياض الصالحين.

١٣- من كنوز السنة، دراسة أدبية ولغوية من الحديث.

١٤- النبوَّة والأنبياء، دراسة تفصيلية لحياة الرسل المذكورين في القرآن.

١٥- المواريث في الشريعة الإسلامية.

١٦- شبهات وأباطيل حول تعدُّد زوجات الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم.

١٧- الزواج الإسلامي المبكِّر سعادة وحصانة.

١٨- حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن

١٩- رسالة الصلاة.

٢٠- عقيدة أهل السنَّة في ميزان الشرع.

٢١- جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية.

٢٢- كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير.

٢٣- التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير.

كما قام الشيخ رحمه الله بتحقيق بعض كتب القدماء في مجال التفسير وغيره. ومن الكتب التي حقَّقها الشيخ:

١- كتاب معاني القرآن (للإمام النحَّاس) .

٢- المقتطف من عيون التفاسير (للمنصوري).

٣- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (للبروسوي).

٤- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (للأنصاري)

طيِّب القلب، عفُّ اللسان، جريء في قول الحقِّ، يجهر بما يؤمن به، ويعتقد صوابه، صبور على طلب العلم وبذله، يسع من يخالفه وينال من أعماله ومؤلَّفاته، ولا يدفع تطاوله إلا بالحكمة وبالتي هي أحسن، متواضع لا يري نفسه إلَّا طالب علم، رغم ما وصل إليه من المكانة العلمية، كثير العبادة وتلاوة القرآن الكريم، عظيم

الخشية من الله تعالى، جميل الوجه، مهاب الطلعة، زادته لحيته البيضاء الجميلة جمالاً ووقاراً، يزيِّن رأسه بعمامة بيضاء، وقد يضع فوقها منديلاً أبيض.

بقي الشيخ المترجَم على دأبه في خدمة العلم وطلبته، والتأليف والتحقيق، إلى أن وافته المنيَّة في مدينة (يالوا التركية) صباح يومِ الجمعة السادس من شعبان، سنة اثنتين وأربعين وأربعمئة وألف للهجرة، الموافق للتاسع عشر من شهر آذار، سنة إحدى وعشرين وألفين الميلادية.

وحزن عليه أهله وإخوانه من العلماء، وتلامذته من طلَّاب العلم، وفي اليوم الثاني نقل جسمانه الطاهر إلى مدينة إستابول، وصُلِّي عليه في جامع الفاتح بعد صلاة الظهر، ثم شُيِّع بجنازة حافلة، حضرها عدد من الشخصيات السياسية والعلمية والدينية البارزة، ومنهم السيد ياسين أقطاي مستشار الرئيس رجب طيب أردوغان، والشيخ أسامة الرفاعي، رئيس المجلس السوري الإسلامي، وعدد من كبار المسؤولين الأتراك وجمهور غفير ضمَّ الآلاف من إخوان الشيخ من العلماء وطلَّاب العلم، وأحباب الشيخ الذين تبعوا موكب الجنازة إلى مقبرة (مركز أفندي) في إستابول، وأقيمت للشيخ أمسيات العزاء في إستابول وفي بعض المدن التركية، وألقيت فيها عدد من الكلمات التي أشادت بشخصية الشيخ الراحل ومكانته العلمية والاجتماعية.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن إليه وأسكنه فسيح جنَّاته

المصادر والمراجع

- مقابلة شفهيَّة مع شيخنا المترجَم له.
- مقابلة شفهية مع شيخنا الشيخ محمَّد زين العابدين الجذبة.
- مقابلة شفهية من ابن المترجم له الأستاذ أنس حفظه الله
- ثبت التحرير اليسير في ترجمة وأسانيد العلامة محمَّد علي الصابوني صاحب التفاسير جمع وتحرير محمَّد أيوب العلي
- بعض كتب الشيخ ومؤلَّفاته
- سجلَّات المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية) بحلب.
- موقع الإثنينية، على شبكه الإنترنت.
- مذكّرات المؤلِّف.

في منزل الشيخ يوم حصول المؤلِّف على إجازته بكلِّ مرويَّاته ومؤلَّفاته

الصلاة على الشيخ محمَّد علي الصابوني في جامع الفاتح

إجازة رواية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم الأمة الإسلامية باتصال سندها، وقطعيَّة حجتها، وتمام شريعتها، وشُفُوف رتبتها، وخصَّها من بين سائر الأمم بالإسناد؛ الذي هو للكتب كالنَّسب في الحَسَب، ولولاه لضاعت الشريعة وما عُرِف حديث ولا قرآن، فكان من نتيجة ذلك أن نشره العلماء وبثوه في كل وقت وآن. **أما بعد: فيقول خادم الكتاب والسُّنَّة محمَّد علي الصابوني، الحلبي المولد، المكي المجاور(نزيل تركيا):**

لقد استجازني **الشيخ محمَّد عدنان كاتبي الحلبي**- سلمه الله - بما تَصحُّ لي روايته عن أشياخي الكرام - إحساناً للظنِّ وحُبّاً في الاتصال بسلاسل سيدنا الرسول ﷺ، واقتداءً بالسلف الصالح من العلماء وأئمة الإسلام؛ فأقول :

أجيزه هذه الإجازة ليتصل بسند سادتي ومشايخي سندُه، ولاينفصل عن مَدَدِ علمِهم مَدَدُه، إجازة (رواية فقط) في ما يجوز لي؛ من علوم القرآن والسُّنَّة، وكذا أجزته برواية كل مصنفاتي جَرْياً على عادة العُلماء كـ (صفوة التفاسير، وروائع البيان، وشروح الكتب الستة ورياض الصالحين، والموسوعة الفقهية، وكتب السيرة لنبينا المصطفى وباقي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .. وغيرها) بالشرط المعتبر عند أهل العِلْم؛ وشرطي اللاحق، وهو: أن يكون المجاز يَدِين الله بما أدين به من حبٍّ واقتداءٍ بالآل والصحب، واتباع وإجلال للمذاهب الإسلامية الأربعة المتمثلة بالحنفية والمالكية والشافعية وما ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل في مذهبه، كما يَدِين الله أيضاً بما أدين به من أن ساداتنا الأشاعرة والماتريدية هم من أهل السنة والجماعة خلفاً عن سلف، وأن لا يكون طعَّاناً بأحدٍ من ساداتنا العلماء؛ لأن التضليل والتكفير - بغير حق - ليس من منهجي ولامن منهج أشياخي الذين أخذتُ العلم منهم ورويتُ عنهم.. وإلا فالإجازة لا تشمله، وإن أخذها فقد أخذها بغير حق .

وإني -بحمد الله تعالى- تلقيتُ العلوم الشرعية والعربية (منطوقها ومفهومها، رواية ودراية) عن جملة من الأئمة الأَعلام؛ وأجازني بها جمع من الجهابذة الكرام، وكان من أبرزهم :

- **والدي الشيخ جميل بن مصطفى الصابوني الحلبي (ت 1396 هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ محمَّد سعيد بن أحمد الإدلبي الحلبي (ت 1370هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ محمَّد راغب بن محمود الطباخ الحلبي (ت 1370 هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ محمَّد نجيب سراج الدِّين الحلبي (ت 1373هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ أحمد بن محمَّد الشَّماع الحلبي (ت1373 هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ محمَّد نجيب بن محمَّد خياطة الحلبي (ت1387هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ علوي بن عباس المالكي المكِّي (ت 1391هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
- **العلَّامة الشيخ حسن بن محمَّد حسن المشاط المكيّ (ت 1399هـ)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ .وغيرهم كما في ثبت « **التحرير اليسير** ».

وأُوصي المجاز - ونفسي- بالتقوى في السرِّ والعَلَن، والعمل على ما يرضي الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وإخلاص النية له، وأرجو منه أن لاينساني و والدَيَّ وشيوخي وذريتي وتلاميذي من دعواته - في خلواته وجلواته-، وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.

خادم الكتاب والسُّنَّة

الشيخ محمَّد علي الصابوني

خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني

بعد أن اطلع على البيان الصادر عن مكتب الشيخ بتركيا بتاريخ 1/ شعبان/ 1440 هـ وموافقته على كل ما فيه أعطيت له هذه الإجازة

حررت في تركيا بتاريخ 24/ محرم الحرام / 1441هـ برقم: (377) 2/ص